الملتقى الوطني لإسلامية علم النفس بماليزيا

فاطمة الزهراء ساعي*

نظم قسم علم النفس بالجامعة الإسلامية العالمية بالتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي بماليزيا ملتقى وطنياً لإسلامية علم النفس ما بين (١١/٣ - ١٩٩٦/١٢/١)، وقد شارك في أعمال المؤتمر عدد من الشخصيات العلمية المتخصصة، قدموا من عدد من الجامعات الماليزية، من بينها جامعة مالايا (UM) والجامعة الماليزية للعلوم (USM) وجامعة أوتارا الماليزية (UTM) والمعهد الوطني للّغة الماليزية (IB). كما استقطب المؤتمر عدداً من الطلبة والباحثين من مختلف الأقسام في الجامعة الإسلامية العالمية والجامعات الأخرى فضلا عن المعاهد.

أشرف على الجلسة الافتتاحية الرئيس السابق لقسم علم النفس في الجامعة الإسلامية العالمية **الدكتور ظفر آفاق أنصاري**، وبعد تلاوة آيات من القرآن الكريم ألقى **الأستاذ الدكتور جمال البرزنجي** عميد كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية في الجامعة الإسلامية العالمية والمدير العام للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بماليزيا كلمة ترحيبية، رحب فيها بالضيوف المشاركين والحاضرين، ونوه كثيراً بجهود الجهتين المنظمتين للملتقى، وإثره ألقى **الدكتور عبد الحميد أحمد أبو سليمان** مدير الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا الكلمة الافتتاحية، فتحدث فيها عن الإطار العام للملتقى،

---

* دكتوراه في علم النفس المعرفي من جامعة جلاسجو بالمملكة المتحدة البريطانية سنة ١٩٨٨، تعمل حاليا أستاذاً مساعداً بقسم علم النفس بالجامعة الإسلامية العالمية ـ ماليزيا.

وأشار إلى أنه على الرغم من أن علم النفس الغربي قدم الكثير، إلا أنه أخفق كثيرا، لأنه أهمل العوامل الروحية، وذكّر الحاضرين بحقيقة مهمة، وهي أن الإيمان والروح عاملان أساسيان في الدافعية لإنجاز أي عمل أو أداء أي مهمة، وقبل أن يختم كلمته ألقى على عاتق المحاضرين والحاضرين عموماً أمانة تطوير نموذج إسلامي لعلم النفس، يراعي حقيقتي الإيمان والروح في الإنسان، ولا يهمل عطاء الحضارة الإنسانية المعاصرة.

ثم ألقى **الدكتور لؤي صافي** المدير التنفيذي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بماليزيا كلمة تطرق فيها إلى ضرورة دمج الجانب الروحي في نظريات علم النفس، وضرورة اعتماد عنصر "الروح" مبدأ أساسيّاً عوضا عن مبدأ "التكليف" كما هو الحال عند الفقهاء، وذلك حتى نتمكن من بناء نموذج إسلامي لعلم النفس وغيره من العلوم الإنسانية.

وقد اقترح الدكتور لؤي أربع خطوات لإسلامية علم النفس وهي:

١ ـ إدماج البعد الغيبي في مجال الدراسات النفسية

٢ ـ تطوير مفهوم إسلامي للطبيعة البشرية

٣ ـ تنمية العمل التجريبي وتطويره

٤ ـ تطوير الوعي بإدماج علم النفس والعلوم الأخرى كعلم الاجتماع والعلوم السياسية... وغيرها مع بعضها البعض.

وافق **الدكتور حسن لنقولن** في كلمته على ما اقترحه الدكتور في ضرورة إضافة البعد الروحي إلى المناهج الحالية بوصفه جزءاً لا يتجزأ من النظرة الإسلامية، إن لم يكن هو الأساس. فإذا لم تكن الروح هي الأساس فإننا لا نستطيع إيجاد تسويغ أو تفسير لعملية "الأذان في أذن الطفل اليمنى والإقامة في أذنه الأخرى" عند ميلاده، واقترح تناول علم النفس من خلال رؤية عامة حتى تنفتح على التجارب الأخرى مع إضافة تعديلات عليها. وبهذا اختتمت الجلسة الافتتاحية.

الجلسة الأولى: استهلت بمحاضرة **للدكتور مصطفى عشوي** نائب المدير التنفيذي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي (للشؤون الأكاديمية)، عنوانها **العلوم الاجتماعية**

والدين، ما العلاقة؟ أشار فيها إلى أنه يجب إدراك أن العلوم الاجتماعية (علم النفس واحد منها) والدين متكاملان، وألح على ضرورة دمج المفكرين المسلمين لهما في إطار شامل، وفي إطار من القيم، ولا يتم ذلك إلا بتعاون علماء الشريعة مع علماء الإنسانيات، حتى يتم تحديد المبادئ المقترحة من وجهة إسلامية تكون مشروعة ومقبولة، وقدم في اختتام محاضرته اقتراحا بنشر أعمال هذا الملتقى بعد تحريرها، حتى تتمكن الأجيال القادمة من الاطلاع عليها والاستفادة منها، والبناء عليها.

وإثر محاضرته قدم **الدكتور شمس الرحمن خان** عضو هيئة التدريس بقسم علم النفس محاضرة ثانية بعنوان **إسلامية علم النفس، سناريو الجامعة الإسلامية العالمية.**

وقد ركّز بالخصوص على العقبات التي تواجه عملية بناء وجهة إسلامية لعلم النفس بالجامعة والقسم خاصة، وأهم هذه العقبات: عدم التمكن من آليات العلوم الإسلامية، وضعف الاطلاع على الجانب الشرعي عند المتخصصين في علم النفس، كما أن العكس وارد أيضا.

وكانت المحاضرة الثالثة بعنوان: **الإيمان والطبيعة الإنسانية: من وجهة نظر إسلامية ووجودية، للدكتورة فاطمة الزهراء ساعي**، بيّنت فيها أن من متطلبات إسلامية علم النفس والإرشاد النفسي تحديد الطبيعة الإنسانية، وبلورة مفهوم لها من زاوية إسلامية، تكون الروح فيها بعداً أساسياً، حيث تكون في شكلها الأولي "فطرة"، غير أنها تتطور بالتعليم حتى تنضج عند سن الرشد، فتتفاعل عناصرها البيولوجية والروحية والنفسية والعقلية. كما أن الإيمان يحقق التوازن على المستوى الفردي، حيث تستقر نفسية المؤمن، وتتخلص من انفعالاتها، وهذا الأمر يتحول في بعده الاجتماعي إلى السلام في المجتمع. وقد استدلت الباحثة على رأيها هذا بدراسة "تحقق حالة الخشوع" حيث قدمت شروحاً "بيو- معرفية"، أصبح القلب مصدرها بوصفه مصفيا للدم الذي تفرغ فيه هرمونات ومواد كيميائية في حالة "الانفعال"، حالة حب الله. في حين يصف سارتر الوعي الملازم للطبيعة البشرية، وهو وعي بالإيمان، "بسوء النية"، ولا يمكن أن تتخلص منه النفس في صراعها لتحقيق الحرية.

وبعدها ألقى **الدكتور عمبر** محاضرة بعنوان **الحق إعادة التشكيل المعرفي لعلماء النفس المسلمين، نحو بناء إيمان قوي مقدمة لإسلامية علم النفس.**

وباختصار شديد فإن الدكتور عمبر يريد من علماء النفس المسلمين اليوم استكمال المقدمات الضرورية لإسلامية علم النفس، وهذه المقدمات تـأخذ بعديـن: البعـد الأول هو التعمق في العلوم الإسلامية حتى نقف على المبادئ والمفاهيم الضرورية للاستقلال في الرؤية عن الطرح الغربي المهيمن اليوم.

وأمّا البعد الثاني فهو التحقق بالإيمان، والرسوخ فيـه، حتـى نكـون مؤهلـين لتغيـير الاتجاه الحالي.

وتلاه **الدكتور محمد غلام حسين** بمحـاضرة تحـت عنـوان **هويـة المسـلم في عالمنـا المعاصر:** فأشار إلى انشطار شخصيته وهويته بين الدين والدنيا، وبين التراث والحداثة، فالمسلمون اليوم يعيشـون في مهـب متغيرات اجتماعيـة وجيوسياسـية واقتصاديـة، ممـا جعلهم يتكتلون و يتقاربون ويحـاولون التمحـور حـول عنصـر الديـن، وفي كثـير مـن الأحيان ليس تكتلا واعيا، ولكنه تكتـل تعويضـي، واقـترح إعـادة التعـامل مـع الديـن بتفعيل أبعاده الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للخروج من أزمة الهوية.

بينما ذهب **الأستاذ الدكتور نزار العاني** نائب عميد كلية معارف الوحي والعلـوم الإنسانية في الجامعة الإسلامية العالمية خطوات بعيدة في طرحه، إذ قدم محاضرة بعنوان: **إسلامية المناهج الدراسية لعلم النفس.** فأشار إلى ضـرورة بنـاء وجهـة نظـر إسـلامية توضح الطبيعة البشرية، حتى يتسنّى لنا القيام بأبحاث استنادا إلى نظراتنا وفرضياتنا، ثم نستعين بالوجهة الإسلامية لتنميـة اتجاهـات إنسـانية وعلميـة، كمـا أشـار إلى إمكانيـة استعمال الطرق العلمية المتوفرة لتنمية المعرفة بشـرط ألاّ تتعـارض هـذه التقنينـات مـع القرآن والسنة النبوية، كما يمكن ضبط هذه الطرق بمعايير إسلامية .

وكان قـد ألقـى **الدكتـور حسـن لنقولـن** بالاشـتراك مـع **الأسـتاذ محمـد سـهري نورالدين** محاضرة قبله بعنوان: **العوامل المتحكمة في المواقف السلبية تجاه الدين لـدى أطفال المدارس التوجيه المطلوب،** حاولا من خلالها الوقوف على الخلفيات التصوريـة وراء هذه السلوكيات السلبية.

وأما اليوم الثاني فقد كانت محاضراته أكثر "إجرائية وواقعية" فطرحت قضايا ومشكلات من زاوية إسلامية، ومن الوجهة نفسها كانت محاولات الحلول أيضا.

فاستهلت الجلسة الصباحية بمحاضرة **للدكتور داتؤ عثمان بكر** نائب رئيس الجامعة "بجامعة ملايا" بعنوان: **إسلامية علم النفس أم تجديد علم النفس الإسلامي.**

وقد لفت الانتباه إلى أن علم النفس في إطار الحضارة الإسلامية، وإن لم يكن فرعاً مستقلا تحت هذا المسمى، إلاّ أنه شمل كثيراً من الميادين المعرفية والسلوكية، في حين كان الغرب يبحث عن مبادئ لتأسيس علم النفس، وإلى الآن يعانون من أزمة المنهج، وذلك لأنهم يرغبون في منافسة المناهج الفيزيائية، ومن هنا يرى الباحث ضرورة إحياء علم النفس التراثي، لأنه أقرب إلى الفطرة الإنسانية، ويتفق مع المبادئ الإسلامية في القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثم تلته محاضرة **الدكتور حنفي محمد نور** بعنوان: **المفهوم القرآني للحاجات البشرية،** عرض فيها لبعض القضايا من زاوية نفسية ثم أعقبه **الدكتور سيد عاشق علي شاه** بمحاضرة عنوانها: **الاتجاه الإسلامي لعلم النفس المرضي والعلاج النفسي،** ركز فيها على أهمية وعي المسلم لذاته، وذلك من خلال تطوير نظام التحكم الذي يضبط النفس، سواء في سعيها وراء الأهداف المادية أو غيرها، ورأى أنه يجب إعادة دمج الفرد في التيار الاجتماعي الديني بوصفه طريقا ناجعة من طرق الاتجاه (السيكومرضي) الإسلامي.

ثم ألقت **الأخت صابينة وتَنَاب** من الجامعة الإسلامية العالمية محاضرة بعنوان: **وجهة إسلامية جذرية للصحة النفسية،** ركزت فيها على وجوب إعادة الفرد إلى الصراط المستقيم، وذلك بتحديد الأهداف التي تتناسب مع طبيعته، ومن وسائل تحقيق ذلك التوبة والجهاد، وذلك ضمن إطار يتضمن العلاقة بين المرشِد والمرشَد.

كانت المحاضرة التي تليها بعنوان: **اتجاه إسلامي لمعالجة متعاطي المخدرات،** قدمها **محمود نزار إسماعيل، وإسماعيل إسحاق** من جامعة (أوتارا بماليزيا)، فأكدا أن التوبة والإنابة إلى الله هي أقصر الطرق وأنجعها في علاج هذه المشكلة.

كما ساهم **الدكتور عبد الحميد عثمان** بالاشتراك مع **الأستاذ أحمد محمد رَبَا** بورقة عنوانها: **إسلامية الإرشاد النفسي: قضايا ومشكلات وتطلعات**، ناقشا فيها مفاهيم الإرشاد النفسي من زاوية لغوية وإسلامية، ورأيا في التوبة طريقة إسلامية لتغيير السلوك والشخصية، مع ضرورة مراعاة المتغيرات، وتعدد المحيط الثقافي الذي يعيش فيه الفرد.

بعدها حاول **الدكتور محمد داود حمزة** من جامعة العلوم بماليزيا طرح **نظرية إسلامية للمعالجة والإثارة الإعلامية**، وهي مناقشة ونقد لمبادئ نظرية هريس .ل. بوهيسي، ناقش الباحث فيها فرضيات النظرية ومبادئها من زاوية إسلامية، في محاولة للبحث عن البديل.

أما محاضرة **الأستاذة نادية إلياس** من جامعة أوتارا بماليزيا فقد خصصت لـ: **استعمال الطرف الثالث في الإرشاد والعلاج النفسيين**، وكانت عبارة عن خطة لكيفية استعمال شخص ثالث محترف في الإرشاد النفسي، ذلك في حالة الاختلاف بين جنس المرشد والمريض، كأن يكون المرشد ذكرا والمريض أنثى، بما يتناسب والمقصد الشرعي من تحريم الخلوة، ثم محاولة النظر في النتائج.

وإن كان هناك من ملاحظة يمكن تقديمها فهي أن المحاور كانت متشعبة جداً، ولذلك لم يأخذ كثير منها حقه من العمق، كما أن الملتقى لم يأخذ بعين الاعتبار التجارب السابقة في هذا المجال، خاصة الأدبيات المتراكمة باللغة العربية، منها مؤتمرات كمؤتمر إسلامية علم النفس، الذي انعقد في القاهرة سنة ١٩٨٩، بتنظيم المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بالاشتراك مع الجمعية العربية للتربية الإسلاميةوقد جرى فيه تجاوز الأطر النظرية والأطروحات العامة، كما تناول نماذج من التراث الإسلامي كابن القيم والغزالي وغيرهما، ولعلّ المؤتمر الدولي الذي سينعقد قريباً عن إسلامية علم النفس، في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، يستدرك ما فات هذا الملتقى أو غيره من المؤتمرات.